الفنان الكبير محمد عبده زيدي.. نغم أصيل وصوت وشم في ذاكرة الوطن

قراءة نقدية في أغنية (ورأسك)

قدم الفنان محمد عبده زيدي في غنائياته شخوصه وعناصره وأدواته الإبداعية مستنداً على محورين هامين الأول يصب في خدمة النص الغنائي بإضافات مبتكرة لجمل لحنية ذات أبعاد ورؤى موسيقية جديدة متنوعة المقامات والإيقاعات، والبعد الثاني جسد من خلاله قدرته الفائقة وتألقه في التعبير النغمي الدرامي وتوظيفه لخدمة انفعالاته وأحاسيسه ومشاعره المتقدة المتدفقة الجياشة بشكل متناغم نابض وحي، إذ أنه اتبع منهاج وأسلوب سيناريو القصة التي (تقرأ بالأذن) معتمداً على ملكاته وأدواته الموسيقية الهائلة، فتبدأ الأحداث في أغنياته وتتصاعد بحبكة درامية (موسيقية) وتنتهي بالنهاية التي يختارها من واقع تجاربه الحياتية.

عصام خليدي

سنتطرق في هذا السياق لأغنية شكلت نجاحاً وحضوراً هاماً في مشهد الغناء اليمني المعاصر، (ورأسك) نسمع الناس في عدن، الصغار والكبار يحلفون بهذه الكلمة في اليوم الواحد عشرات المرات، للتدليل على صدقهم، أو صدق أفعالهم خاصة إذا أحسوا بأن الطرف الذي يخاطبونه يشك في صدقه، لكن ولا خطر لأحد منا، أو حتى من الشعراء قبل مصطفى خضر أن هذه الكلمة العادية المستعملة في المتداول اليومي يمكن أن تصلح مطلعاً لأغنية جميلة. ومن هنا نلاحظ أن ميزة الشاعر أنه يستطيع أن يستخرج السر الكامن في روح اللغة/ اللهجة/ الكلمة، رغم أن الآخرين يعيشون معها طوال الوقت، ويستخدمونها في كل لحظة في متداولهم اليومي، لكنها لا تعني لهم أكثر من مدلولها الظاهر حين الاستخدام، أما الشاعر فإنه يقدر أن يجعل من الكلمة والمفردة العادية التي لا تثير اهتمام الآخرين شيئاً أخاذاً يثير الدهشة في نص شعري غنائي يعجب الناس كأنهم يسمعون بها لأول مرة، وسوف تكتسب هذه المفردة العادية معنى جديداً من راهن قراءتها في صورتها الشعرية الجديدة التي منحها إياها الشاعر مصطفى خضر وهو يقول :

((ورأسك أنتِ أول حب
أنا أخلص له من قلبي
وأشعر به بأنه حقيقة
مش أوهام تلعب بي
كفاية ما لعب بي الوهم
وخلانا أعيش في عذاب
وبعد الأنة والآهات
عرفت أني أحب سراب))

وكأن مصطفى خضر يقول لنا في هذا النص، وفي سواه من نصوصه الغنائية التي كتبها باللهجة العدنية، إن كل شيء يمكن إعادة صياغته ليتوالد من جديد داخل واقع النص الشعري، وفي متواليات لانهائية من الإعادات والإضافات لترتيبها ترتيباً جديداً، بفيوضات ذهن أو مخيلة، وبلذة قراءة لنص محتمل جديد.

((لكن حبك علي جديد
في اسمه في شكله
ذي كلمة حب قليلة عليه
يا ريت في كلمة تصلح له
أقولها لك بكل حنان
وأعيشها كل يوم مرات)).

التحليل المقامي والإيقاعي

استطاع الفنان محمد عبده زيدي باقتدار شديد أن يجعلنا نعيش ونحس هذه المقدرة والإمكانية من خلال بناءاته اللحنية الرائعة الباذخة بترداده لكلمة "ورأسك" التي تبدأ بها الأغنية، مرات عديدة كمحور لمطلع الأغنية، وللنص بمجمله، وإعطائها و (إعطائه) حياة متجددة يتجلى في ظاهره وباطن المعاني الرؤية التي تتضمنها هذه الكلمة – (القسم)، فكان اللحن متناسباً في لغته التعبيرية الدرامية الموسيقية الفنية، ومعبراً عن بعدها الذي (سما) بها في نطاق المتداول اليومي العادي إلى مصاف الشعر الغنائي، وهذا التردد لمفردة (ورأسك) في مطلع الأغنية وفر وبين جلياً درجة عالية من التوازن الجمالي الذي يبدو أنه وراء العذوبة اللحنية التي تجعل المستمع في حالة حضور وجداني، (ونشوة فنية نادرة) مما يضع الفنان (الزيدي) في مصاف الملحنين القلائل الذين يمنحون الكلمة والأغنية عموماً قدرات تعبيرية، تصويرية، درامية، وإضافات موسيقية، إيقاعية ونغمية، ودلالات ورؤى (إبداعية استثنائية) تعكس النفس اللحني والأبعاد الجمالية لهذا الفنان (العبقري) الذي يعد ضمن قلة من الملحنين ليس على مستوى اليمن وحدها بل على المستوى العربي الذين تبنوا (عنصر التصوير والسيناريو الدرامي في المضمون الجمالي للأثر الموسيقي)، فوق أنه يجمع في ألحانه بين عنصري (التعبير والتطريب).

وربما كان من المهم الإشارة إلى أن مصطفى خضر كان في اختياره المفردة العادية، واشتغاله على اللهجة في العديد من أغانيه إن لم يكن كلها يتتبع خطى أستاذه الشاعر الكبير لطفي جعفر أمان صاحب الباع الطويل في هذا المجال، إذ عرف عن المرحوم لطفي اهتمامه بالنص البياني الذي يخدم الموضوع أو الحدث، والنص الجمالي الذي يخدم الإبداع، والنص التقني الذي يخدم النصين السابقين، البياني والجمالي وقد أبدع الفنان الراحل محمد عبده زيدي (صاحب الدراما الموسيقية اليمنية) في وضع لحن أغنية (ورأسك)، فلحن المقدمة الموسيقية على مقام (النهوند)، واستخدم فيها الإيقاع (المقسوم 4/4) ليبدأ الغناء على مقام (النهوند على درجة الدو) ومما يجدر الإشارة إليه أنه خلال الغناء بالمذهب يتغير وزن الإيقاع إلى وزن (4/4 الوحدة الكبرى) وفي الكوبليه ينتقل الزيدي إلى مقام آخر يسمى (البيات على درجة الصول) في هذه الأبيات "حياة روحي أنا أقسمت بحاجة أغلى من روحي" ثم ينتقل إلى مقام (الحجاز على النوى) في المقطع الذي تقول كلماته "ورأسك أنت آمالي وآلامي وأفراحي" ليعود مرة أخرى إلى مقام (البيات على النوى) في هذه الأبيات : "أنا ماحلمش بشيء ثاني ذا حبك كل ما أتمناه/ ولا فكرت ولا مرة بأنه حقيقة" إلى هنا لا يزال لحن المقطع على مقام (البيات) لكن الزيدي وبمهارة فائقة يفاجئنا بانتقاله إلى جنس مقام (الصبا) في "مش أوهام، ورأسك".

وفي الكوبليه الثالث والأخير ينتقل الزيدي إلى جو مليء بالتفاؤل والبهجة والفرح فيستخدم الإيقاع (الشرحي العدني 8/6)، فيتحول بإمكانية الموسيقي البارع المحنك والمقتدر إلى مقام جديد هو مقام (الهزام على درجة مي) في المقطع الذي يقول : "يا زهرة في ربيع عمري/ يا فجر جديد يصحيني/ يا شمعة نورت ليلي/ يا أحلى لحن يشجيني".

كلمة لا بد منها

إن فقدان ورحيل المبدع الخلاق (الزيدي) بما يحمله من قيم جمالية إبداعية عظيمة راقية يعد خسارة فنية فادحة لا يمكن تعويضها على الإطلاق ونحن بدورنا كمهتمين نذكر ونلفت عناية الجهات المعنية مبكراً بتاريخ وفاته الموافق 26/12/1993م.. مضت ما يقارب (18 عاماً) منذ أن فارقنا (الفنان الصادق والإنسان) محمد عبده زيدي ولم تلتفت إليه القنوات والمؤسسات الرسمية ممثلة (بوزارة الثقافة) أو (إذاعة عدن) التي أفنى جل عمره في خدمتها وتبوأ أعلى المناصب القيادية في عصرها الذهبي.. تصوروا لم يشفع تاريخه الحافل والمشرف الزاخر بالإنجازات الوطنية والإنسانية..؟!.. لم يشفع ذلك الرصيد الضخم (بتكريمه) بما يليق وينسجم ومكانته الإبداعية المرموقة في قلوبنا وحياتنا من خلال ما قدمه من بصمات وعطاء متميز وشم في ذاكرة الوطن الفنية، رغم أننا نسمع ونقرأ في الصحف عشرات المكرمين في ظل غياب المعايير والمقاييس ممن يجيدون نسج العلاقات العامة وأصحاب الوساطات بمختلف أشكالها وأنواعها، لقد سبق فناننا الزيدي الجميع وكرمنا بفنه الراقي الخالد، أما ما يحدث له وللمبدعين الحقيقيين أمثاله من تغييب وتهميش وجحود ونسيان فهو مؤشر يبين ويوضح ما نحن عليه من سقوط وانحدار شمل بطغيانه ومفاسده كل مفاصل المشهد الثقافي الإبداعي الراهن في عموم اليمن.

ماجد المهندس يزيح مهند عن عرش الوسامة في 48 ساعة

أبو ظبي / متابعات :

أزاح المطرب العراقي ماجد المهندس النجم التركي كيفانش تاتليتوغ الشهير بـ(مهند) من على عرش الوسامة الذي ظل متربعاً عليه في الاستفتاءات الإلكترونية، خلال استفتاء جديد تجريه مجلة (لها).

وحقق المهندس نسبة 25 ٪ من مجموع الأصوات بعد 48 ساعة من انطلاق استفتاء (النجوم الأكثر وسامة) في 3 مايو 2011، متفوقاً على مهند، الذي طالما كان يعزف منفردا في مثل هذه المسابقات، بنسبة 2 ٪.

وتبدو فرص المهندس كبيرة في إنهاء الاستفتاء لصالحه، مستفيداً من ترويج عشاقه من الشباب العربي للاستفتاء على موقع الفيس بوك.

ويتنافس على المرتبة الثالثة كل من النجم التركي جوكان تيب الشهير بـ (إياد) والنجم السوري تيم الحسن، وحصل كل منهما على نسبة 10 ٪ من مجموع الأصوات، فيما جاء المصري تامر حسني في المرتبة الرابعة 8 ٪، وحل السعودي خالد عبد الرحمن في المرتبة الخامسة بـ 7 ٪.

وكشف الاستفتاء عن تراجع نجوم طالما كانت حظوظهم وفيرة في مثل هذه المسابقات، حيث حصّل اللبناني يوسف الخال على نسبة 4 ٪، المصري كريم عبد العزيز 3 ٪، واللبناني وائل كافوري 2 ٪، والسوري باسم ياخور على 1 ٪، وبالنسبة نفسها اللبناني وائل جسار، فيما لم تكمل عدد الأصوات التي حصل عليها نجوم مصر أحمد السقا وخالد النبوي وخالد أبو النجا حتى الآن نسبة 1 ٪، و بالنتيجة نفسها نجماً لبنان جوزيف عطية و كارلوس عازر.

وفاة نجل الفنان أيمن زيدان بعد معاناته مع السرطان

دبي / متابعات :

توفي نجل الفنان السوري أيمن زيدان، بعد معاناة طويلة مع مرض السرطان، وتم دفن جثمانه الأربعاء 4 مايو/أيار في مسقط رأسه في مدينة (الرحيبة) في ريف دمشق.

وذكر برنامج (صباح الخير يا عرب) على MBC أن الشاب (نوار) (19 عاماً)، وافته المنية في دمشق، بعد صراع مع المرض.

وقال الفنان السوري زهير عبدالكريم -الذي حضر الجنازة، إن الشاب نوار عانى من السرطان لفترة طويلة.

وأضاف الفنان السوري -وهو يصور حالياً مسلسل (ملح الحياة) الذي يتولى إخراجه أيمن زيدان- إنه دار حديث بينه وبين زيدان -منذ أربعة أيام- أخبره فيه أن المرض اشتد على (نوار).

وأوضح أنه تلقى نبأ الوفاة صباح الأربعاء من خلال رسالة نصية، فسارع إلى التوجه للمشاركة في مراسم الدفن الذي حضره عدد كبير من النجوم والفنانين السوريين والشخصيات.

نوار هو الابن الأصغر للفنان أيمن زيدان بعد حازم وغالب، وكان قد وقع الاختيار عليه من قبل تلفزيون أبوظبي ليرافق والده في تقديم برنامج (لقاء الأجيال) الذي قدم لموسمين متتاليين.

كان برنامج (صباح الخير يا عرب) على MBC قد استضاف الشاب (نوار) من قبل ليتحدث عن تجربته في مواجهة المرض، وقال نوار آنذاك: إنه يعيش حياته بشكل طبيعي بعد اكتشافه المرض، ونصح من يعانون السرطان بمواجهته بشجاعة وعدم الخوف.